الفصل السادس

على مفترق طرق

أجرى رفيق الحريري اتصاله الهاتفي الثاني بروس خلال أسبوعين في نفس يوم فشل قمة الأسد كلينتون،وهوى قلبه بين ضلوعه بمجرد أن سمع من وكالات الأنباء نبأ فشل القمة.

سأل الحريري روس:

ما الذي حدث؟

رَدَّ روس:

"لم يرغب بعقد اتفاق."

طلب الحريري من روس أن يروي له تفاصيل ما جرى في جنيف،وبعدما أتم روايته قال للحريري:

"أعتقد أن الأمر مرتبط بخلافة الأسد في الرئاسة."

obeikandl.com

رَدَّالحريري رد الواثق من كلامه:

"لا أصدق ذلك."

كان رأي الحريري في محله، فالحريري يعلم أن بشارًا من المستحيل أن يجلس على كرسي الرئاسة دون أن يحصل أبوه على الضوء الأخضر من سيدة العالم الولايات المتحدة وطفلها المدلل إسرائيل.

رَدَّالحريري على روس قائلًا:

"لا تستسلم، حاول مجددًا."

رَدَّ روس:

"ماذا يمكنني عمله؟."

رَدَّالحريري:

"لا تستسلم فحسب، لابد من وجود حل، وحتى لو ارتبط الأمر بخلافة ابنه في الرئاسة فلا يعني هذا أن الأمر قد انتهى."

كانت نذر خلافة بشار لأبيه قد بدأت عقب مقتل شقيقه باسل عام 1994م، أُلْحِق بشار بالجيش السوري بعد تركه الخدمة العسكرية بسنوات

obeikandl.com

قليلة وقد وصل لرتبة نقيب، أما هذه المرة فقد تولى قيادة كتبة دبابات في السابع من نوفمبر 1994م بمباركة وزير الدفاع وصديق عمر الأسد مصطفى طلاس.

بعد ستة أسابيع من توليه القيادة في كتيبة الدبابات، رُقِّيَ بشار لرتبة رائد في الحرس الجمهوري مع العلم بأن المدة التييحتاجها الضابط ليترقى لهذه الرتبة هي خمس سنوات، ورافق هذه الترقية التخلص من بعض أفراد الحرس القديم للأسد الأب.

أُعْفِياللواء علي دوبا قائد القوات الخاصة من منصبه بعدما وَجَّه نقدًا لحافظ على إصراره تولية بشار الرئاسة من بعده في وجود من هم أكبر منه سنًا، وقصد بذلك عبد الحليم خدام.

ولم يكتف حافظ بذلك بل سجن دوبا ستة أشهر ليكون عبرةً لغيره، وفي يناير 1995م رُقِّي بشار لرتبة رائد، وأصبح ظهوره إلى جانب أبيه ووزير دفاعه في الاحتفالات العسكرية أمرًا متكررًا.

في نفس العام لعب بشار كما أسلفنا دورًا هامًا في تمرير التمديد لإلياس الهراوي كما بدأ في توطيد علاقاته مع الإخوة ميقاتي:

طه ونجيب وعزمي، وهم أبناء عائلة من كبريات عائلة السُنَّة السياسية؛ ليكونوا غطاءً لتمرير سياساته في أوساط سُنَّة لبنان عندما يرأس سوريا

بعد أبيه،وفي 1995م أيضًا اسْتُبعِد عدنان مخلوف ابن خال بشار من قيادة الحرس الجمهوري بعد خلافه مع وريث سوريا.

في العام التالي 1996م، سَجَّل بشار في دورة عسكرية للحصول على رتبة مقدم في الحرس الجمهوري،وفي العام التالي 1997م أصبح بشار مقدمًا في الحرس الجمهوري بالرغم من حصول أحد الضباط المتقدمين للدورة على المركز الأول، إلا أنه استُبْعِد ليحل محله الأسد الصغير.

في فبراير 1998م،استبعد حافظ شقيقه وعم بشار رفعت الأسد من قيادة سرايا الدفاع ذراع النظام الباطشة التي تغير اسمها للفرقة الرابعة،وحل محله في قيادتها ماهر الأسد شقيق بشار الأصغر.

في يونيو من العام نفسه تَرَأَّس بشار تدريبًا عسكريًا في وجود رئيس الأركان القوي والمؤيد لبشار علي أصلان؛ ليبرهن بشار على خلافته لأبيه بهذه الخطوة،وفي يوليو 1998م اسْتُبْدِل رئيس المخابرات بشير نجار المعارض لخلافة بشار، وزُجَّ به في السجن بتهمة الفساد، وحل محله علي خوري بعدما أظهر فروض الولاء والطاعة.

اعتمد حافظ كذلك على صهره وزوج ابنته بشرى الذي عُيِّن نائبًا لرئيس المخابرات العسكرية في بناء قاعدة موالية لبشار داخل المؤسسة العسكرية، عبر رفع تقارير للأسد الأب حول آراء القادة والضباط في وراثة

بشار للحكم، فمن رفض اسْتُبْعِد، ومن وافق قُرِّب ورُقِّي، وكون بذلك حافظ مجموعةً لا بأس بها مؤيدةً لوريثه.

بعد نَيْل بشار تأييد الأجهزة الأمنية لخلافة أبيه، اجتهد حافظ فيإيجاد شعبية له كما فعل مع شقيقه باسل، وبدأت صور بشار تغطي ساحات وشوارع المدن السورية كما كان الحال مع شقيقه، وظهر بشار في صورة الشخص المتفتح الذي تَلَقَّى تعليمه في ديار الغرب وكَرَّس جهده لخدمة المصلحة العامة.

ظهر بشار كمكافح للفساد بعدما أسند إليه أبوه إدارة حملة لمكافحة الفساد استهدفت القضاء على معارضي توريث السلطة والتخلص من المقربين من الحريريفي سوريا مسئولين في النظام كانوا أورجال أعمال، وافتتح بشار كذلك مكتبًا لتَلَقّي شكاوى المواطنين باسم ديوان المظالمفي كل المحافظات السورية.

بضوء أخضر من حافظ رسم بشار بعدًا آخر لشخصيته بصفته رجل مساير لتقنيات العصر، حيث تَوَلّى بشار رئاسة الجمعية المعلوماتية السورية التي ضمت أكاديميين وخبراء في تكنولوجيا المعلومات، وكان الإنجاز الأهم الذي حققه بشار في هذا الصدد هو إدخال استخدام الإنترنت إلى سوريا.

في أوقات فراغه،كان بشاريجلس مع والده بالقصر الجمهوري ليستقي منه مهام منصبه المستقبلي ويتعلم من خبراته في إدارة اللعبة السياسية،وعلى مقربة من مكتب حافظ أنشأ حافظ لابنه مكتبًا خاصًا به؛ لتُعْرَض عليه القضايا المختلفة ويتخذ قراراته فيها ثم يناقشها مع أبيه.

فبراير2000م،أطاح حافظ برجل آخر من الحرس القديم هو اللواء علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية، وحل محله اللواء حسن خليل المتماهيفيسياساته مع آصف شوكت وبشار الأسد.

وفي مارس من العام نفسه شارك بشار في التعديل الوزاريلحكومة محمود الزعبي،حيث اقترح قائمةً بأسماء الوزراء الذين يرى أحقيتهم في اللحاق بتشكيلة الحكومة ليبت الأسد الأب في أمرها،وكان من بينها استبدال رئيس الوزراء محمود الزعبيالذي مكث في منصبه سنين عددا.

أسفرت اقتراحات بشار عن الإطاحة بالزعبي وتولية مصطفى ميرو محافظ حلب الأسبق رئاسة الوزراء خلفًا له،ثم لم يلبث أن وُجِّهَت للزعبي تهم الفساد بعدما كشف عن استيراد نظام الأسد لمواسير ضخ النفط من إسرائيل، ليُعْثَر عليه بعد فترة من اتهامه مقتولًافي حين ادَّعَى النظام انتحاره.

كان رفيق الحريري يراقب هذه التطورات عن كَثَب ولا يخفي قلقه، صحيح أن غازي كنعان أوقف بأوامر من الأسد الأب حملة التشويه الممنهجة الموجهة ضد الحريري تحت ستار مكافحة الفساد في أوائل عام 2000م، وصحيح أيضًا أن حاجة السوريين له ستعيده لرئاسة الحكومة، لَكِنَّ تَوَلّي بشار الأسد للرئاسة بعد أبيه كان يقض مضجعه.

لم ينس الحريري قط معاملة الأسد الصغير الجافة له وتصرفاته العدائية تجاهه، لكن ماذا عساه أن يفعل وقد حسم حافظ أمر خلافته طوال ستة أعوام لصالح ابنه طبيب العيون عديم الخبرة بالسياسة؟ ومن يضمن له أن بشارًا لن يعيد حملة التشويه ضده مجددًا؟

رأى الحريري أن العراقيل التي سيضعها بشار في طريق طموحه الاستقلالي ستكون أكبر وأكثر من تلك التي واجهها في عهد أبيه، لكن أكثر ما خشي منه رجل لبنان القوي هو افتقار بشار للحنكة السياسية التي تَمَتَّع بها أبوه، متوقعًا أن افتقاده للحنكة سيوقع لبنان وسوريا على حد سواء في مآزق تورد البلدين المهالك.

لم يكن الحريري وحده من يعتقد ذلك؛ فصديقه ورفيق درب الأسد عبد الحليم خدام كان يشاطره الرأي، ودومًا ما وصف بشارًا بالولد الأجدب عندما كان ينصح الحريري ألا يلتقيه، وكذلك كان رأي حكمت الشهابي الذي تسبب في إقالته.

حتى والدة بشار أنيسة مخلوف كانت ترى ماهرًا شقيق بشار الأصغر هو الأنسب لتولي الرئاسة من بعد أبيه؛ فهو يمتلك وحشية أبيه وقسوته ودمويته، بينما بشار يفتقد لهذه الصفات؛ حيث عُرِفَ عن بشار تردده وبناء رأيه على كلام آخر شخص يتحدث إليه، لكن حافظًا كان يرى خلاف ذلك.

رأى حافظ أن بشارًا أقدر من أخيه على إدارة سوريا سياسيًا، بينما سيكون ماهر ساعده الأيمن في القمع، ولم تكن قلة خبرة بشار وطبيعته الانطوائية هما فقط ما يصعبان من مهمته في خلافة أبيه، لكن حتى حالته الصحية كانت عائقًا.

عولج بشار نفسيًا بين الولايات المتحدة وفرنسا لمساعدته على التخلص من التلعثم في الكلام، خاصةً مع دخوله في تلاسن كلامي مع أحد أو تعرضه لموقف محرج، ورافقه خلال رحلاته العلاجية طبيب سوري وأطباء أجانب، وبعدما فشل العلاج النفسي أظهرت الفحوصات وجود ورم حميد في مركز النطق بالمخ استُئْصل بعملية جراحية.

لكن الحريري رغم كل تمسك بأهداب الأمل، وأن بشارًا-مع زيادة خبرته السياسية-ربما يتبنى مقاربةً مختلفةً عن تلك التي يتبناها أبوه، رغم أن احتمالية ذلك تبقى ضعيفةً.

لذا استغل الحريري نفوذه على الساحتين العربية والدولية لحشد الدعم لخلافة بشار لأبيه، وعلى إثر ذلك التقى بشار الأسد جاك شيراك في باريس في نوفمبر 1999م، وقَبِلَ كذلك الرئيس المصري وقتها حسني مبارك والعاهل الأردني الملك عبد الله مساعدة بشار في تثبيت قدميه في الحكم.

لم يكتف الحريري بذلك، فأعلنت مجموعة من أربع شركات ثلاث سعودية والرابعة أوجيه المملوكة للحريري نيتها استثمار أربعمائة مليون دولار في مشروعات زراعية وصناعية ومعلوماتية بسوريا، في دليل على حسن نوايا الحريري تجاه الوريث رغم ما بدر منه من إساءة في حقه.

وقع تطور سياسي هام على الساحة اللبنانية في الخامس والعشرين من مايو 2000م؛ حيث أتم الجيش الإسرائيلي انسحابه الأحادي كما وعد إيهود باراكمن جنوب لبنان المحتل منذ اجتياح 1982م، وتَوَّجَ حزب الله بذلك مسيرة ثمانية عشر عامًا من مقارعة الجيش المحتل.

خطب حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في بنت جبيل موجهًا الشكر لكل من ساعد حزبه في تحقيق هذا الانتصار، وخص بالذكر حافظًا الأسد وإيران، لكن بقدر ما سَوَّق هذا الانتصار لحافظ الأسد كبطل لتحرير لبنان على قدر ما بدأت الأصوات تتعالى في الداخل اللبناني مطالبةً بانسحاب القوات السورية هي الأخرى بعدما انتفي سبب وجودها.

كتب الصحفي الماروني جبران تويني المعروف بمعارضته للوجود السوري في لبنان مقالةً في صحيفة النهار اللبنانية بعنوان (رسالة مفتوحة لبشار) جاء فيها:

"يجب أن أقول لكم بصراحة إن العديد من اللبنانيين يشعرون بأن سلوك سوريا في لبنان يتناقض تمامًا ومبادئ السيادة والكرامة والاستقلال."

أثار مقال تويني عاصفةً من النقد لكاتبه، حيث شجبت المؤسسات اللبنانية السيادية والرسمية على حد سواء ما ورد فيها، وحتى الصحف اللبنانية -ومنها صحيفة المستقبل المملوكة للحريري- رفضت ما جاء في مقالة تويني.

تُوُفِّيَ حافظ الأسد في العاشر من يونيو 2000م، بعد غيبوبة استمرت ثمانيًا وأربعين ساعةً عقب نزيف من أنفه نتيجة إصابته بنوع نادر من سرطان الدم،وعلى الفور جَهَّزَ الحرس القديم بشارًا ليتسلم المهمة من بعد أبيه.

اجتمعت القيادة القُطْرِيَّة لحزب البعث الحاكم قبل أيام من ميعاد مؤتمره بسبب وفاة حافظ،وصدر قرار بترقية بشار في نفس اليوم إلى رتبة فريق وتعيينه قائدًا أعلى للقوات المسلحة، وأعلن عن ترشيحه للرئاسة.

في نفس اليوم اجتمع مجلس النواب ليعدل المادة 83 من الدستور ليصبح عمر الرئيس أربعةً وثلاثين عامًا "عمر بشار" بدلًا من أربعين"عمر حافظ

عند توليه الرئاسة"،وقد كان،حيث عُدِّلَت المادة خلال ربع ساعة فقط من انعقاد المجلس.

جاءت أولى المباركات الدولية على تَوَلّي بشار الرئاسة من الولايات المتحدة،حيث التقت وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت بشارًا الأسد في الرابع عشر من يونيو 2000م، وأعلنت أن الرئيس السوري الجديد تواق لإكمال مسيرة السلام.

بعد ثلاثة أيام اختار المؤتمر العام التاسع لحزب البعث بشارًا أمينًا عامًا للحزب وعَيَّنَه رئيسًا،أُجْرِيَت بعد ذلك انتخابات داخلية انْتُخِبَت على إثرها لجنة مركزية من تسعين عضوًا ومجلس قيادة من تسعة عشر عضوًا.

السابع والعشرون من يونيو 2000م،انْتُخِبَ بشار من مجلس الشعب السوري بالإجماع رئيسًا للجمهورية،وفي العاشر من يوليو انتخب بشار رئيسًا ولكن في استفتاء شعبي هذه المرة بنسبة سبعة وتسعين وثلاثة أعشار في المائة.

في السابع عشر من الشهر نفسه ولدى تَوَلّيه مهام منصبه،ألقى بشار الأسد خطاب القسم الذي دعا فيه لفتح صفحة جديدة بين السلطة والشعب داعيًا للإصلاح الاقتصادي والسياسي،لكنه رفض نقل الديمقراطية الغربية إلى سوريا؛ حيث اعتبرها غير ملائمة للحالة السورية.

هكذا ارتدى بشار رداء الإصلاحي في خطابه، وعقب أسبوع من خطابه قدم له عبد الحليم خدام مذكرةً حول الإصلاح السياسي ضَمَّت في بنودها اعتماد الديمقراطية والتعددية السياسية وحرية الإعلام.

وفي الخامس من أغسطس أعطى بشار دليله الأول على توجهه الإصلاحي عندما عقد اجتماعًا مع الجبهة التقدمية الوطنية الحاكمة ناقش فيه تغيير القانون السياسي لحزب البعث، وتخفيف القيود المفروضة على حرية الصحافة، وإعادة تقييم قانون الطوارئ.

في نفس الجلسة عرض بشار بدء الإصلاح الإداري قبل الإصلاح السياسي؛ حتى إذا ما ظهرت قوًى معارضةً للسلطة الحاكمة لا تُعْطَى الفرصة لمهاجمة السلطة بسبب البيروقراطية والفساد المتفشيين فيها.

لم يتأخر خدام صديق الحريري عن الشروع فيالإصلاح الإداري، وسافر لفرنسا طالبًا العون من الرئيس جاك شيراك، الذي أرسل إليه خبراء فرنسيين لمنح خبراتهم لنظرائهم السوريين.

في السابع والعشرين من يوليو أفرج بشار عن ثلاثين معتقلًا من الإخوان المسلمين، وكان هذا الإجراء ذا دلالة رمزية هامة على رغبة بشار في تجاوز إرث أبيه؛ إذ إن العلاقة بين حافظ والإخوان لم تزد عن علاقة السجان والسجين خاصةً بعد مجزرة حماة.

أثلجت هذه التصرفات صدر الحريري الذي كان تَوَّاقًا لعهد جديد يستطيع فيه التعامل مع سوريا معاملة الند للند لا التابع والمتبوع،وزاد من حماسته للرئيس الشاب ما سمعه من باتريك سيل الكاتب البريطاني المقرب من النظام السوري أن بشارًاغير متحمس لوجود عسكري سوريفي لبنان.

صرح بشارلسيل أنه لا يجد سببًا لأن تدير سوريا شئون لبنان اليومية،وبما أنه لا توجد معاهدة سلام مع إسرائيل -مع وجود بعض الخطوط الحمراء- يمكن للبنان أن يدير شئونه الخاصة.

ترجم الحريري تفاؤله هذا خلال مقابلة أجرتها معه السي إن إن،امتدح الحريربشارًا الأسد واصفًا إياه بالرجل المؤمن بالسلام الذي يعرف سوريا جيدًا الساعي لرفع المستوى المعيشي للشعب السوري.

كان الحريري يهدف كذلك من وراء هذه التصريحات المنمقة لاستمالة الأسد للعودة لرئاسة الوزراء،حيث اقترب موعدها في سبتمبر 2000م،خاصةً بعد التدهور الاقتصادي الذي تسببت فيه سياسات حكومة الحص،وصل الدين العام إلى اثنين وعشرين مليار دولار.

لم يتوقف إميل لحود بالتعاون مع حكومة الحص -رغم فشلهما الذريع في تحسين الوضع الاقتصادي - عن انتقاد الحريري،وبدلًا من حل هذه

المشكلة المزمنة تَفَرَّغ لحود لمهاجمة الحريري عبر إذاعة صوت لبنان المملوكة للدولة التي كانت تصف الحريري بالحوت المنتفخ تارةً وبزعيم المافيا تارةً أخرى.

تَنَبَّه الأسد الابن إلى أن عودة الحريري لا مناص منها؛ حتى لا تتدهور السيطرة السورية على لبنان، وظهرت بوادر التمرد اللبناني على الوضع القائم من الموارنة مجددًا.

أصدر مجلس المطارنة الموارنة برئاسة البطريرك مار نصر الله بطرس صفير بيانًا أوائل سبتمبر 2000م، طالبوا فيه بتنفيذ إعادة انتشار القوات السورية حسب اتفاق الطائف، يتبع ذلك تحديد موعد لانسحاب الجيش السوري نهائيًا من لبنان، واختتم البيان بنقد شديد اللهجة للسياسات السورية في لبنان، وكان طوق نجاة الأسد هو رفيق الحريري.

عَدَّل غازي كنعان قانون الانتخابات اللبناني بحيث يسمح للحريري بالفوز في الانتخابات النيابية ومن ثَمَّ تشكيل الحكومة القادمة، وبالتزامن مع ذلك عُيِّن مصطفى حمدان السُّنّيّ الموالي لسوريا ولحود قائدًا للحرس الجمهوري.

كان تعيين حمدان في هذا المنصب استمرارًا من بشار في السير على نهج أبيه؛ حتى يكون عائقًا أمام الحريري من ناحية، ومن ناحية أخرى يعطي

انطباعًا زائفًا بتأييد سُنَّة لبنان لسياسات الأسد التسلطية،وعين اللواء الشيعي جميل السيد رئيسًا للأمن العام بدلًا من رئاسة المخابرات العسكرية.

حقق الحريري فوزًا كاسحًا في انتخابات 2000مفي كل المناطق اللبنانية باستثناء الجنوب والبقاع مَعْقِلَي حزب الله الموالليلأسد،واستطاع الحريري أيضًا الانتقام لنفسه من سليم الحص عندما رشح إحدى سيدات آل جلول الموالين لتيار المستقبل على مقعد السُّنَّة في بيروتالذي كان يشغله الحص،وفازت به مرشحة الحريري وخرج الحص بخفي حنين.

تفاءل الحريري أكثربعهد الأسد الابن بعد بيان التسعة والتسعين الذي وقعه تسعة وتسعون من الكتاب السوريين،نُشِرَ هذا البيان في السابع والعشرين من سبتمبر 2000م بصحيفة الحياة اللندنية، طالب الموقعون عليه برفع حالة الطوارئ والإفراج عن المعتقلين السياسيين وحكم القانون وحرية التعبيرعن الرأي وفتح المجال أمام المشاركة في الحياة السياسية.

أعطى هذا البيان الحريري انطباعًا أنه بصدد تحقيق أهدافه في استقلالية القرار اللبناني بشكل أفضل من عهد حافظ مع الحفاظ على الروابط التاريخية مع الجار السوري.

تعززت هذه القناعة لدى الحريري عندما أفرج بشار عن المعارض العلوي د.عارف دليلة الذي اعتقله الأسد الأب لفترات طويلة خلال عهده،وزاد بشار على ذلك باستقباله دليلة في القصر الجمهوري وإعادته لوظيفته كعميد لكلية الاقتصاد بجامعة دمشق.

الأول من أكتوبر 2000م،نشرت جريدة الثورة السورية الحكومية للمرة الأولى منذ أسست نقدًا لاذعًا للفساد الحكومي ومحاباة الأقارب في إشارة جديدة من رئيس سوريا الجديد على أنه لا يعيش في ثياب أبيه.

بعد إرخائه لشعرة معاوية بينه وبين الحريري وسماحه له بالفوز برئاسة الحكومة،عاد بشار ليشد تلك الشعرة عبر وكيله القوي حزب الله الذي شن هجومًا على دورية إسرائيلية بمزارع شبعا المحتلة مختطفًا ثلاثة جنود إسرائيليين ليبادلهم بعشرين سجينًا لبنانيًا لدى إسرائيل في الخامس من أكتوبر 2000م.

شعر الحريري أن بشارًا ينتهج أسلوب أبيه في عرقلة جهوده،هاهي المرة الثالثة التي يظهر فيها حزب الله بمظهر من يقلب الطاولة على الحريري وخططه، وللمرة الأولى يتأكد الحريري أن بشارًا لن يختلف عن أبيه في الشأن اللبناني، اللهم إلا في النواحي الشكلية.

تعزز هذا الشعور بعد هجومين آخرين شَنَّهُما الحزب في مزارع شبعا أيضًا على دوريتين إسرائيليتين في السابع من نوفمبر، آسرًا عقيدًافي الجيش الإسرائيلي عشية تشكيل الحريري حكومته،رأى بشار أن توتر علاقاته مع الحريري لن يكون في مصلحته؛فقرر إرسال رسائل إيجابيةً لتهدئته.

جاءت الرسالة الأولى في السادس عشر من نوفمبر،أصدر بشار مرسومًا بالإعفاء عن ستمائة سجين بين سوري ولبناني بمناسبة الاحتفال بالذكرى الثلاثين لانقلاب حافظ الذي أُطْلِق عليه الحركة التصحيحية.

في نفس اليوم وصلت الرسالة الثانية بأن أصدر القضاء اللبناني قراره ببراءة فؤاد السنيورة من قضية إهدار أموال البلديات ليغلق ملفًا سبب صداعًا مزمنًا لرفيق الحريري طوال عام ونيف.

عند تشكيل الحكومة واجه الحريري مشكلةً جديدةً من تلك التي تفنن السوريون في افتعالها؛ فقد عين لحود وزراء موالين له في وزارات الاتصالات والصناعة والطاقة والمياه؛ليجهض مخططات الحريريفي إصلاح الاقتصاد من بوابة الخصخصة،لكن الحريري ربح هذه الجولة كما ربح مثلها في عهد الأسد الأب.

أدت انتقادات وليد جنبلاط لتدخل الحريري في تشكيلة الحكومة إلى تدخل الأسد وتغليب رأي الحريري،وبعد قرابة الشهر وفي الخامس عشر من

ديسمبر ساعد بشار الحريري في تحقيق إنجاز جديد بتوقيع اتفاقية بين سوريا ومصر ولبنان تسمح بعبور الغاز المصري إلى لبنان عبر الأراضي السورية.

عاد بشار مجددًا ليظهر العين الحمراء لرئيس الوزراء العائد، رأى بشار أن الحريري تجاوز حدوده بعد دعوته الرئيس السابق أمين الجميل للعودة إلى لبنان من منفاه الفرنسي الذي ذهب إليه عام 1989م.

استفز هذا التصرف الرئيس الجديد الذي رَدَّ على دعوة الحريري بأسلوبه الخاص، فدعاه لزيارة دمشق في أحد أيام يناير 2001م، وخلال الزيارة وجه بشار تقريعًا شديدًا للحريري على دعوته في رسالة فظة لأسد دمشق الجديد كان مفادها:

يا رفيق لن تحكم لبنان في وجودي.

شعر الحريري أن هواجسه من كراهية بشار له في طريقها للتحقق، وما حدث في دمشق ما هو إلا صورة مصغرة من الويل والثبور اللذين ينتظرانه، خاصةً أن بشارًا أثبت أنه ورث استبداد أبيه وزاد عليه حماقته في التصرف.

بعد فترة قصيرة - وبناءً على نصيحة من حرس النظام القديم - هَدَّأ بشار من التوتر بينه وبين الحريري، إذ صَوَّت مجلس الشعب السوري بالموافقة

على إنشاء مصارف خاصة في المنطقة الحرة على الحدود بين سوريا ولبنان، وتنفس الحريري الصعداء عند ظهور بيان الألف في السابع من يناير 2001م.

كان ذلك البيان أشد في لهجته من بيان الـ99، ووقعه ألف مفكر طالبوا فيه النظام بإنشاء لجان للمجتمع المدني،واعتبر أنها رسالة تطمين أنه حتى لو حاول بشار العودة للقمع فإن هناك من سيتصدى له.

خاب ظن الحريري مع تصريح وزير الإعلام السوري عدنان عمران عما أسماه صالونات نقاش المجتمع المدني في التاسع والعشرين من الشهر نفسه،حيث أبدى موافقة السلطة على نشاط بعض هذه الصالونات طالما أنها تحترم الدستور، مُدَّعِيًا أن الناشطين يتلقون الدعم من جهات أجنبية.

في اليوم التالي هجم مجهولون على الكاتب ومنظم المجتمع المدنيفي اللاذقية نبيل سليمان،ولم يُلْقِ السوريون على أحد باللائمة إلا على أمن النظام الذي بدأت إشاراته السلبية في الظهور،وبعد أسبوعين من هذه الحادثة كَشَّر نظام الأسد الابن عن أنيابه على يد واحد من حرسه القديم.

السابع عشر من فبراير 2001م،صَرَّح عبد الحليم خدام أن سوريا لن تكون يوغوسلافيا أو الجزائر،وأن منتديات النقاش السياسي هذه وكذا المجتمع

المدني ما هي إلا وسيلة خبيثة للقضاء على الدولة السورية،وفينفس اليومبدأت الأجهزة الأمنية السورية تحكم قبضتها الحديدية على هذه المنتديات السياسية الوليدة.

اشترطت الأجهزة الأمنية السورية حصول هذه الصالونات على التراخيص قبل مزاولة عملها،على أن يتضمن الترخيص اسم المالك وموقع المنتدى وإعلام السلطات بأسماء المشاركين ونص المحاضرات قبل خمسة عشر يومًا من بدء أي اجتماع.

في الحادي والعشرين من الشهر نفسه صَرَّح أحد مسئولي حزب البعث أن ناشطي المجتمع المدني أساؤوا فهم خطاب الرئيس الأسد وتخطوا الخطوط الحمراء والثوابت العربية والقومية،وهكذا شيع بشار ربيع دمشق إلى مثواه الأخير وحنث بوعده الذيقطعه خلال خطاب التنصيب.

في تلك الآونة،كان الحريري في طريقه لحضور مؤتمر المانحين في باريس الذي حضره إلى جانب فرنسا ولبنان مسئولون من الاتحاد الأوروبي وممثلون عن البنك الدولي؛ لبحث ضخ مساعدات مالية واستثمارات جديدة في لبنان تساعده على النهوض من كبوته الاقتصادية.

كان الحريري متفائلًا أن المؤتمر سيؤتيأُكُلَه خاصةً بعدما طمأن الحاضرين إلى أن لبنان لن يدخل في مواجهات مع إسرائيل تعيد الأمور إلى المربع الأول،حيث قال لمضيفه الفرنسي:

"هناك اتفاق واضح مع أشقائنا السوريين في هذه المسألة،لن تكون هناك أية استفزازات من قِبَلِنَا."

لكن بشارًاآلى على نفسه أن ينغص على الحريري؛ليثبت له أنه صاحب اليد الطولى، وأنه يمكنه نسف خطط الحريري بأمرواحد يصدره.

أرسل الأسد في نفس الشهررسالةً سلبيةً جديدةًللحريري ومعارضي الوجود العسكريالسوري من موارنة لبنان،فَصَرَّح في حوارمع جريدة الشرق الأوسط بأن شريكه في صنع القرار(السوري-اللبناني) هو الرئيس لحود"المتربع على عرش لبنان" حسب وصف الأسد، واعتبروجوده في لبنان لهدفين:

الأول:إيفاء سوريا بالتزاماتها التي أوجبها عليها اتفاق الطائف.

الثاني:استجابةً لحالة اللاسلم واللاحرب بين لبنان وإسرائيل.

وحتى يقطع قول كل خطيب،أعلن بشار أن القوات السورية لن تنسحب من لبنان حتى لو تحقق السلام مع إسرائيل.

كان تصريح بشار نذير شؤم للحريري المتواجد في باريس لحضور مؤتمر مانحي لبنان، ولم يكن لتجاهل بشار للأصوات المعارضة لسياساته في لبنان، وإطلاق يد لحود ليفعل ما يخدم المصالح السورية، وترك الحبل على الغارب لحزب الله في الجنوب، إضافةً لمعاملة بشار المهينة له، ووأد ربيع دمشقسوى معنى واحد:

أن الحريري سيعاني الأَمَرَّين مع بشار، وأن طريقه للخلاص من الوصاية السورية سيكون مفروشًا بأشواك حماقة بشار الذي يرى نفسه الحاكم بأمره في جاره الغربي الصغير، ولم تمض أربع وعشرون ساعةً على حديث بشار حتى كان جنوب لبنان مسرحًا لتوتر جديد بين حزب الله وإسرائيل.

اضطر الحريري لقطع زيارته في اليوم التالي ليتابع عن كثب عواقب العملية التي نَفَّذَهَا حزب الله في مزارع شبعا، فقد هاجم مقاتلو الحزب عربةً إسرائيليةً بصاروخ مضاد للدبابات قُتِلَ على إثره جندي إسرائيلي.

فهم الحريري الرد القاسي من جانب بشار وحلفائه، لذا سارع فور وصوله للبنان للاجتماع بإميل لحود ومسئولي حزب الله والسفير الإيراني في بيروت وكذا بشار الأسد للوصول إلى حل يعيد للجنوب اللبناني هدوءه.

أصدر الحريري تصريحًا لاذعًا حول حقيقة دور سلاح حزب الله، ورفض بأقسى عبارات النقد أن يكون حزب الله دولةً داخل الدولة

اللبنانية،ورضخ حزب الله لمطالب الحريري بعد موافقة دمشق وطهران على تهدئة الأوضاع،وانتهى الاجتماع بإعلان الحريري التوصل لتفاهم مع حزب الله دون الإعلان عن بنوده.

خلال الفترة بين نوفمبر2000م وفبراير2001م زار رفيق الحريري قطر والسعودية ومصر، حيث ناقش مع الرئيس المصري تزويد لبنان بالغاز المسال، والمغرب والكويت التي حصل منها على خمسمائة وخمسين مليون دولار لمشروعات التنمية الاقتصادية،واختتم جولته بزيارة اليابان التي حصل منها هي الأخرى على تعهد بقروض وسندات بالين.

لم يَرُق ما فعله الحريري لبشار،لكن كان عليه أولًا تجاوز الأزمة التي لاحت في الأفق اللبناني المضطرب.

حل شهر مارس 2001م، وبدأ التذمر من الوجود العسكريالسوري يتجاوز الموارنة،فها هو الزعيم الدرزي وليد جنبلاط يوصي بإعادة انتشار سريعة للقوات السورية تنفيذًا لبنود اتفاق الطائف، ويدعو النظام السوري للتوقف عما سَمّاه"التدخل الغير مجاز في الشأن اللبناني."

جاء رد بشار سريعًا وغاضبًا في آن،أعلنت السلطات السورية جنبلاط شخصًاغير مرغوب في زيارته دمشق، وأعطت المخابرات السورية الضوء الأخضر لأبواق دمشق في لبنان لشن هجوم شرس على جنبلاط.

خلال مناقشة برلمانية حول أداء حكومة الحريري،وجه عاصم قانصوه أمين حزب البعث بلبنان نقدًا ضمنيًا لجنبلاط حول موقفه الأخير من القيادة السورية،حيث قال قانصوه إن العملاء الإسرائيليين لن تتم حمايتهم من بنادق المقاومة اللبنانية،لكن قادم السخط اللبناني كان أسوأ.

نفذ طلاب جامعات مسيحية في بيروت وغيرها من مناطق لبنان تظاهرات واعتصامات للمطالبة بانسحاب القوات السورية،وكما تَعَلَّم الأمن اللبناني من السوريين واجه المظاهرات بعنف وقمع شديدين وصلا في بعض الأحيان لاعتقال الطلاب المشاركين في المظاهرات.

سار البطريرك الماروني نصر الله صفير على درب الساخطين،وخلال زيارة له للجالية اللبنانية في الولايات المتحدة وكندا استمرت خمسة أسابيع،حاول صفير استغلال الفرصة ليلتقي بالرئيس الأمريكي الجديد جورج بوش الابن وأركان إدارته؛ عل الناقمين على سوريا يجدون سندًا لمطالبهم.

جاء رد إدارة بوش بأنها كانت ترى أن مصالحها مع نظام دمشق أهم في الفترة الراهنة من مطالبة الرئيس السوري بسحب قواته من لبنان،لكن ذلك لم يَعْنِ أنها لن تستخدم هذه الورقة الهامة لابتزاز نظام الأسد متى تعارضت مصالح أمريكا مع مصالح الأسد.

بدأ الاعتراض على وجود القوات السورية في لبنان ينتشر انتشار النار في الهشيم، فبعد اتحاد الموارنة والدروز بشأن مطالبة بشار بالانسحاب، انضمت أصوات جديدة سُنِّيَّة وشيعية من صحفيين وساسة وإعلاميين لهذه المطالب، وكان أكثر هذه الأصوات اعتدالًا يطالب بعلاقات ندية بين البلدين.

كان ذلك الوضع الناشئ مقلقًا لبشار؛ لأنه تسبب من ضمن ما تسبب فيه إلى انهيار الادعاء الكاذب الذي طالما تشدق به حافظ الأسد بأن المسلمين اللبنانيين مجمعون على بقاء الجيش السوري لينفذ المهام المنوطة به، وتراءى لبشير أن العبارة القائلة بأن السوريين لن يغادروا لبنان إلا إذا فقدوا دعم المسلمين في طريقها للتحقق.

لعب بشار بورقة أبيه الأثيرة التي طالما لعب بها عندما كانت تحدق به الأزمات:

العزف على وتر الطائفية.

بأوامر من غازي كنعان، أصدرت جماعة علماء عكار "مجموعة من رجال الدين السُّنَّة اللبنانيين الذين تحركهم المخابرات السورية" والتي تتخذ من طرابلس شمال لبنان مقرًا لها بيانًا حذرت فيه الموارنة من أن هجوم المسلمين عليهم وشيك مالم يتخل صفير عن حملته المناهضة لسوريا.

وفي رسالة تهديد جديدة، صدر بيان عن مسلحين سُنَّة موالين لسوريا يهددون فيه الموارنة بالحرب حتى لو بسكاكين المطبخ. وخرج أتباع جماعة الأحباش الصوفية الموالية لسوريا هي الأخرى بالهراوات مهددين من تسول له نفسه المطالبة بخروج "حماة الدمار" السوريين من لبنان.

طارت شرارة التحريض المذهبي من طرابلس لتحرق العاصمة بيروت، فوقعت مصادمات في منطقة عين الرمانة المسيحية وكذا منطقة الشياح الشيعية، ووصل الأمر من الشباب الشيعي إلى مطالبة حسن نصر الله بإصدر فتوى ضد البطريرك صفير الذي نُعِتَ بـ"الفيروس الصغير."

اعتقد هؤلاء الشباب المتحمسون أنه ما إن تندلع الحرب حتى يكون الانتصار من نصيبهم ثم يعلنون عن قيام الدولة الإسلامية، ووصل التهور بهم لكتابة شعارات مناهضة للمسيحيين على الجدران، واعتدى بعض الشباب الشيعة في بيروت على قس ماروني ومزقوا له ملابسه.

حتى حركة أمل الرديف الشيعي لحزب الله أدلت بدلوها، إذ تضامن المنتمون للحركة مع موقف الأحباش وعلماء عكار معلنين أنهم مستعدون للاستشهاد في سبيل قضيتهم، لقد عادت مقدمات ومشاهد الحرب الأهلية لتبعث مخاوف اللبنانيين من مكامنها.

زاد الأسد الحريق اشتعالًا بمنحه الضوء الأخضر لحزب الله ليزيد الأمور استعصاءً على الحريري، وفي الرابع عشر من أبريل 2001 مشَنَّ حزب الله هجومًا جديدًا على إحدى الدوريات الإسرائيلية في مزارع شبعا؛ مما أسفر عن تدمير دبابة إسرائيلية ومقتل طاقمها، ولم يمر الأمر مرور الكرام من جانب الدولة العبرية.

رَدَّ الجيش الإسرائيلي رَدًّا صاعقًا على عملية حزب الله، أصدر أرئيل شارون الذي تولى رئاسة الوزراء لتوه أوامره بقصف إحدى منصات الرادار السورية في جنوب لبنان مما أسفر عن تدمير المنصة ومقتل جنديين سوريين، وهكذا انقلب السحر على الساحر، وطفق بشار يستجدي المساعدة الدولية لوقف العدوان الإسرائيلي.

أدان رفيق الحريري الهجوم على القوات السورية على الصعيد الرسمي، لكنه في قرارة نفسه كان يرى أن بشارًا تَلَقَّى العقاب المناسب على محاولته السخيفة لإحراج الحريري أو "صانع العجائب" كما دعاه اللبنانيون، وكانت نظرة الحريري في محلها إذ هدأت الحدود (اللبنانية-الإسرائيلية) طوال ما بقي من عام 2001م، وأصبحت الضغوط السورية على عمل الحريري أقل من ذي قبل.

سعى بشار لتجميل صورته التي تضررت خلال الأشهر الماضية وكذلك لمساعدة حليفه إميل لحود، فأعلن في الرابع عشر من يونيو 2001م عن

انسحاب ستة آلاف جندي من بيروت عائدين إلى سوريا، تزامن ذلك مع إعادة انتشار بقية القوات السورية في سهل البقاع؛ لينخفض بذلك عدد القوات السورية في لبنان إلى عشرين ألف جندي.

هَدَّأت هذه الخطوة قليلًا من السخط الشعبي على النظام السوري، لكن بشارًا استبدل خفض عدد عسكرييه في لبنان بزيادة مقابلة في عدد كوادره المخابراتية وجواسيسه؛ ليضمن استمرار هيمنته الأمنية والسياسية على مقدرات لبنان.

مرت أيام عام 2001م، حتى جاء الحادي عشر من سبتمبر الذي وقعت فيه الهجمات الانتحارية في نيويورك وواشنطن، ورَدَّت عليها إدارة بوش الابن بأن أعلنت حربها على ما وصفته بالإرهاب، ووجدها بشار فرصةً مواتيةً ليعرض خدماته على العم سام؛ ليغمض الرئيس الأمريكي عينيه عن الوصاية السورية على لبنان.

قدمت المخابرات السورية معلوماتٍ قيمةً حول العناصر التي تصفها أمريكا بالإرهابية بعد جولات من التعذيب الوحشيفي أقبيتها لهذه العناصر على امتداد القُطْر السوري، وقد شكرت المخابرات الأمريكية هذا التعاون السوري، وكذلك الرئيس الأمريكيفي وقت لاحق.

ظهر بشار كذلك بمظهر المتسامح مع خصومه لينفي عن نفسه تهمة الاستبداد التي وصمت بها أمريكا بعض رؤوس الأنظمة الشرق أوسطية،وبناءً على ذلك عقد بشار صفقات سمحت بعودة الساسة الموارنة المعارضين للوجود السوريفي لبنان بالعودة من منافيهم شريطة ألا يتطرقوا للشئون السياسية من قريب أو بعيد.

بموجب هذا الشرط عاد الرئيس الأسبق أمين الجميل -وهو من أهين الحريري بسببه- للبنانلكن بشروط بشار هذه المرة،فهذا هو ما سعى إليه بشار: فرض إرادته على الحريري أيًا كان الثمن،لكن أوراق اللعب التي بإمكان الحريري استخدامها لرد الصفعة لبشارلم تنفد بعد.

رتب رفيق الحريري مؤتمرًا جديدًا لمانحي لبنان في 2001م أيضًا،لكن ميعاد إقامته كان فيأواخر نوفمبر من ذلك العام وكان في باريس أيضًا، حيث عقد المؤتمر الأول تحت اسم باريس 2 وحضره ثمانية عشر بلدًا من أكثر بلدان العالم ثراءً،مع ثماني مؤسسات دولية مقرضة.

خصص المؤتمر مبلغ أربعة مليارات وثلاثمائة مليون دولار لدعم الاقتصاد اللبناني،وذلك مقابل القيام بإصلاحات اقتصادية وإدارية،وشملت هذه التشريعات خصخصة مؤسسات الدولة وخفض الإنفاق العام، وعَلَّق الحريري على المؤتمر آمالًا عظيمة لإنعاش اقتصاد بلاده الراقد في غرفة العناية المركزة.

سَوَّقَت وسائل الإعلام اللبنانية مؤتمر المانحين على إنه إنجاز عظيم، وازداد رهان الحريري على هذا المؤتمر بعدما طمأنه نبيه بري إلى أن التشريعات المرتبطة بخصخصة مؤسسات الدولة سَتُقَرّ في البرلمان دون تأخير.

ألقى جاك شيراك بثقله لمساعدة الحريري، فزار دمشق وبيروت قبل عقد المؤتمر بشهر، وتَلَقّى تطمينات من بشار الأسد وحلفائه بتعبيد الطريق أمام تنفيذ مقررات إعادة الإعمار، لكن لكل شيء ثمن.

دفع الحريري ثمنين لهذا المؤتمر، وكان الثمن الأول هو تقوية نفوذ لحود عدو الحريري اللدود بعدما أطلق بشار الأسد سراح خمسة وأربعين سجينًا لبنانيًا في السجون السورية، مُدَّعِيًا أنه أقدم على ذلك بناءً على طلب من الرئيس اللبناني.

الثمن الثاني تَمَثَّل في الحد بدرجة كبيرة من صلاحيات مجلس الإنماء والإعمار، وزاد الطين بلة تحويل الإشراف على أعمال المجلس من مكتب رئيس الوزراء إلى مجلس الوزراء ككل، ومنح بشار لحود الضوء الأخضر لتعجيز مجلس الإنماء، ووضع العراقيل في طريق تَبَنّي المشروعات وتنفيذها.

اشتكى هشام ناصر للحريري مطالبًا إياه باستخدام نفوذه لدى دمشق لتنفيذ مشروعات البنية التحتية التي حبسها لحود في أدراجه، فمن أصل

ثلاثة مليار دولار رُصِدَت لتنفيذ هذه المشاريع لم ينفق مجلس الإعمار سوى ربع مليار دولار أي ما لايزيد عن ثمانية في المائة من إجمالي المبلغ المرصود.

حل عام 2002م، وكان المقرر أن تستضيف بيروت القمة العربية ذلك العام وكي يمنح بشار حليفه لحود جرعةً من الثقة في صراعه مع الحريري التقى به في الثالث من مارس قبل ثلاثة أسابيع من انعقاد القمة العربية، في حين التقى مع الحريري لمدة قصيرة قبل المغادرة شابها البرود كالمعتاد.

منح بشار الحريري دعمًا جديدًا عقب انعقاد القمة العربية في بيروت، فنفذت القوات السورية الانسحاب الثاني لها من لبنان إلى سوريا خلال عهد بشار في الثالث من أبريل 2002م، ثم أعيد انتشار القوات في سهل البقاع.

عاد بشار لاستخدام حزب الله في التنغيص على الحريري وتخريب خططه، فَشَنَّ الحزب في العاشر من أبريل هجومًا على القوات الإسرائيلية في مزارع شبعا، وهنا تدخلت الولايات المتحدة لتوقف بشارًا عند حده.

وصل وزير الخارجية الأمريكي وقتها كولن باول إلى دمشق في السادس عشر من أبريل 2002م في زيارة مفاجئة خلال جولته بالشرق الأوسط لإيقاف التصعيد الإسرائيلي ضد ياسر عرفات، ووجه باول خلال زيارته تهديدًا

مبطنًا للأسد بأن يوقف الحزب عملياته؛ حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه، ولم يتأخر بشار في تنفيذ الأمر.

رَدَّ الحريري الصفعة لبشار في الثاني والعشرين من يونيو 2002 معندما زارت لجنة أهالي المعتقلين والمختفين اللبنانيين في سوريا دمشق والتقت بوزير الداخلية السوري علي حمود، وقدمت له قائمةً بأسماء مائة وستة وسبعين لبنانيًا يُعْتَقَد أن النظام السوري قد أخفاهم أو اعتقلهم.

رد حمود على ضيوفه رَدًّا غامضًا بقوله:

"إن هذا الأمر بحاجة لثلاثة أشهر للبت فيه."

بدأ بشار يروج لاستبدال رئيس وزراء آخر بالحريري لكنه كان سعوديًا، ألا وهو الملياردير الوليد بن طلال الذي استثمر أموالًا طائلة في بناء فنادق فخمة في بيروت ووقف كداعم للحود ضد الحريري، وكان يوليو 2002م هو الموعد الذي اختاره النظام السوري للإعلان عن رجله الجديد في لبنان.

خلال الاحتفال بافتتاح فندقه العالمي موفنبيك، أعلن الوليد بن طلال عن خطوطه الرئيسة لخطة الإصلاح الاقتصاديفي لبنان، والذي وصفته وسائل الإعلام اللبنانية بأنه تمهيد لحكومة لبنانية جديدة سيرأسها طلال.

سخر غازي العريضي وزير إعلام الحريري وحليفه من هذا الأمر قائلًا:

"سيكون لدينا ما بين خمسة عشر وعشرين مجلس وزراء خلال أشهر قليلة إذا استبدلت الحكومة كلما أُنْشِئ فندق في لبنان."

ضَيَّق بشار مساحة المناورة على الحريري أكثر فأكثر في أكتوبر 2002م، حيث أصدر قرارًا رئاسيًا في التاسع من أكتوبر بتعيين رئيس المخابرات السورية في لبنان غازي كنعان وزيرًا للداخلية، وحل رستم غزالة رئيس جهاز الأمن والاستطلاع العسكري السوري في لبنان محل كنعان.

هكذا أنهى بشار الأسد عقدين من الزمن أمضاهما كنعان جنديًا مخلصًا من جنود نظام الأسد، لكن بشارًا اعتبر أن غياب كنعان عن المشهد اللبناني ضرورة تقتضيها الظروف.

كان إميل لحود هو الغائب الحاضر في هذا القرار، فقد طلب الرئيس اللبناني صراحةً من الأسد التخلص من غازي كنعان الذي اعتبر سياساته الموالية للحريري تهديدًا بانفراط عقد السيطرة السورية على لبنان، لذا وجد بشار في رستم غزالة البديل الأفضل لكنعان.

كان غزالة على النقيض من كنعان، يفتقد للحنكة السياسية والعقلانية اللتين تمتع بها كنعان ومَكَّنَتْه من بسط السيطرة السورية على لبنان، وكانت ميزة غزالة الوحيدة هي تنفيذ أوامر رأس النظام دون تفكير دون محاولة تكييفها مع الواقع السياسي اللبناني كما كان يفعل كنعان.

وبالإضافة لما سبق، فقد كان غزالة فاسدًا بدرجة كبيرة أكبر حتى من أي ضابط مخابرات سوري آخر عمل في لبنان حتى وصفه بعض الساسة اللبنانيين بـ"قاطع الطريق."

تنبه بعض عقلاء الساسة في لبنان إلى خطورة ما يفعله بشار مع الحريري، فسافر وزير الخارجية الأسبق وخصم الحريري فارس بويز إلى دمشق والتقى بشارًا الأسد أواخر 2002م، وقال له من جملة ما قاله:

"معاملة الحريري بقلة احترام تنطوي على كثير من المخاطر؛ ستجعل من الحريري شهيدًا سُنِّيًّا، نحن كمسيحيين لا نريد أن يذكر التاريخ أن إميل لحود الماروني استعان بقوة خارجية لمهاجمة رئيس وزرائه السُّنّيّ، ثم سأل بشارًا مستنكرًا:

ماذا سيحدث للاقتصاد اللبناني إذا استقال الحريري؟

رد عليه الأسد والابتسامة تعلو وجهه:

"لا تخف، لن يترك الحريري منصبه أبدًا لقد سَمَّرناه بكرسيه."

صحيح أن بشارًا أبقى على الحريري في منصبه، لكن مع مرور الوقت حَوَّل بشار الحريري لموظف بدرجة رئيس وزراء لدى نظام دمشق، وخلال

جلسات الحكومة التي انعقدت فيما تبقى من عام 2002م كان إميل لحود هو من يترأس الجلسات لا رفيق الحريري.

زاد من إحساس الحريري بالألم أن المواضيع التي كانت تُنَاقَش كانت توضع في مظاريف مغلقة مرسلة من المخابرات السورية ثم تُوَزَّع هذه المظاريف على النواب،واضطر الحريريفي الكثير من الأحيان للتصويت ضد مقترحات كانت منأفكاره هو إرضاءً للسوريين.

لم يكتف بشار بهذه القيود الخانقة التي وضعها على الحريري،فزاد عليها بتوجيه رسالة مهينة له وذلك عندما حاولت لجنة أهالي المختفين والمعتقلين في سوريا التوجه إلى دمشق في الثاني من نوفمبر 2002م،وبدلًا من الحصول على جواب شاف بشأن مصير أبنائهم أعاد حرس الحدود السوريأعضاء اللجنة صفر اليدين.

كان هذا التصرف من قبل بشار بمثابة الرد على ما رآه استفزازًا من الحريريفي الشهر السابق؛ إذ استضاف الحريري صديقه المقرب جاك شيراك الذي خطب في البرلمان اللبناني،واعتبر أن انسحاب الجيش السوري من لبنان لن يتم إلا خلال تسوية شاملة في الشرق الأوسط.

امتعض بشار لما سمعه من شيراك، واعتبر ذلك تَدَخُّلًا من فرنسا في الفناء الخلفي لسوريا؛ فكان من أمره مع الحريري ما كان.

تزايد ضغط بشار على الحريري مع اشتداد ضغط إدارة بوش الابن على نظام الأسد، فقد حزمت الإدارة اليمينية أمرها بغزو العراق في خريف 2002م، وأراد بشار الأسد من الحريري وحكومته مساندته في معركته الدبلوماسية ضد ذلك الغزو الذي سيخلف كارثةً في الشرق الأوسط الذي لا تنقصه الكوارث.

كانت إدارة بوش الابن قد اتهمت نظام الأسد الابن بخرقه العقوبات المفروضة على نظام صدام حسين، كانت تلك هي المرة الثانية التي تطالب فيها إدارة بوش الابن النظام السوري باحترام قرارات مجلس الأمن، وكانت المرة الأولى التي حذرت فيها واشنطن دمشق من ذلك الأمر في فبراير 2001م.

أشارت التقارير المخابراتية الأمريكية إلى استيراد نظام دمشق مائتي ألف برميل من العراق بين عامي 2001م و2002م، ووصلت أرباح التبادل التجاري بين العراق وسوريا إلى مليارى دولار لصالح نظام بشار، الأمر الذي أقلق واشنطن.

مارست إدارة بوش الابن الضغوط الدبلوماسية عبر زيارة نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط ويليام بيرنز إلى دمشق، ليطلب برفق من الرئيس السوري الكف عن هذه الممارسات حتى تتحسن علاقته بواشنطن.

لـم يُصْـغِ بشـار لمطالـب الأمـريكيين، ولم تفـوت واشـنطن الفرصـة لترسـل رسالةً قاسيةً لنظام الأسد لكن عبر الطفل المدلل هذه المرة:

إسرائيل.

صَرَّح رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون خلال إلقائه خطابًا متلفزًا في الرابع والعشرين من ديسمبر 2002م بأن العراق قد هَرَّب أسلحة الدمار الشامل إلى سوريا، ورَدَّت الخارجية السورية بأن هذه الادعاءات مضحكة.

أما الصحيح فهو أن بعض أركان النظام السوري وَرَّدوا أسلحةً للعراق استعدادًا للحرب، وجنوا من وراء هذا الأمر أرباحًا طائلةً، وكان ذو الهمة شاليش ابن عمة الرئيس السوري ورئيس حرسه الخاص هو من فعل ذلك ليضرب عصفورين بحجر واحد:

كسب أرباح طائلة وتوريط أمريكا التي حسمت أمرها باحتلال العراق، خاصةً أن شعار بوش بنشر الديمقراطية في الشرق الأوسط عن طريق الإطاحة بالأنظمة الشمولية عنى لبشار أنه الثانيفي لائحة الأنظمة المطلوب الخلاص منها في المنطقة.

أوائل عام 2003م، تفجرت فضيحة اقتصادية سببت حرجًا للمخابرات السورية في لبنان رغم اختيار اللبنانيين الصمت حتى لا يفقد أحدهم حياته، ففي هذه الفترة أعلن مصرف المدينة اللبناني إفلاسه بشكل مفاجئ

وهو الذي كان مغارة على بابا لعدد غير قليل من أركان نظام بشار الأسد، علاوةً على استخدامهم له في تبييض أموالهم الحرام.

بأوامر من ماهر الأسد شقيق بشار وقائد أكبر وحداته في الجيش، أقدم رستم غزالة وغازي كنعان في سبتمبر 2001م على تحويل مبلغ نصف مليار دولار من أرباح التعامل في تهريب أموال برنامج النفط مقابل الغذاء بين نظامي صدام حسين وبشار الأسد.

كانت هذه الأموال التي تخص ماهرًا الأسد وقُصَيًّا وعُدَيًّا ابْنَيصدام قد أُودعت مصرف المدينة ببيروت، وشارك في هذا الأمر أيضًا إميل نجل رئيس الجمهورية إميل لحود والوزير الدرزي طلال أرسلان.

لم يكن ذلك كل شيء، فبالإضافة لهذا المبلغ فإن ماهرًا الأسد حَوَّل ملايين الدولارات الأخرى التي جناها، سواءً من تجارة المخدرات من خلال شراكته مع تاجر المخدرات اللبناني الشهير يحيى شمص أو من خلال شراكته مع المقاول اللبناني محمد دندش الذي فرضه على مجلس إعمار الجنوب.

نال كذلك ابن عمة ماهر ذو الهمة شاليش نصيبه من الفساد بمساهمته في شركة بناء نفذت العديد من مشاريع البناء في لبنان بالإكراه، وأخيرًا شراكة ماهر في شركة كسارة لبنان التي فرضت موادها الخام على شركات البناء في لبنان.

اقتصر دور إميل لحود وطلال أرسلان على وضع هذا المبلغ في حسابيهما للتغطية على صاحبيها الحقيقيين،وساعدت سكرتيرة البنك النافذة الفلسطينية رنا قليلات وعميل المصرف إيهاب حمية، ونال كل من شارك في هذه الجريمة حصته من الكعكة.

حصل رستم غزالة على ثلاثة ملايين دولار،وحصل ابن إميل لحود على شقة فاخرة في برج غزال في منطقة الأشرفية ببيروت،بينما حصل طلال أرسلان على مليونين وثلاثمائة ألف دولاروضعت في حسابيه المصرفيين في دبي وسويسرا.

وكمكافأة لها،وعد غزالة رنا أن يعين شقيقها طه رئيسًا للوزراء خلفًاللحريري،لكن جشع المتورطين في هذه الجريمة تسبب في إفلاس المصرف ووضع الجريمة كورقة ضغط في يد الحريري عندما علم بتفاصيل الإفلاس في العام التالي.

في الفترة بين التاسع عشر من يناير والحادي والثلاثين من ديسمبر 2002م سحب رستم غزالة مبلغ ثمانية ملايين دولار ببطاقة ائتمان مملوكة له لحساب أشقائه الثلاثة محمد وناظم وبرهان،ثم سحب هو شخصيًا مبلغ ثمانيةً وثلاثين مليون دولار،وسحب كنعان من البنك اثنين وأربعين مليون دولار،وكانت تلك الحادثة أول الغيث في إفلاس البنك.

كرر كنعان وغزالة عمليات السحب الكبيرة من رصيد البنك، وجاءت القشة التي قصمت ظهر البعير في العشرين من يناير 2003م عندما سحب غزالة من البنك ثلاثمائة ألف دولار في العشرين من يناير 2003م، حيث أُعْلِن بعدها عن إفلاس البنك.

توالت الأحداث التيغطت على الفضيحة، ففي الأول من مارس 2003م، عُقِدَت القمة العربية الاستثنائية في شرم الشيخ بمصر في محاولة يائسة وأخيرة لمنع الحرب على العراق، وقد دعا المندوب السوري لدى الجامعة العربية الدول العربية التي تحتضن قواعد عسكريةً أمريكيةً على أراضيها ألا توافق على استخدام هذه القواعد لشن الحرب على العراق.

في الرابع من الشهر نفسه انضمت سوريا وضمت بجوارها لبنان إلى جانب مصر والبحرين وتونس والأمين العام لجامعة الدول العربية فيما عُرِف باللجنة العربية، وتشكلت هذه اللجنة خلال قمة شرم الشيخ.

أخذت هذه اللجنة على عاتقها إيصال المقترحات الدبلوماسية التي تحول دون شن الحرب على العراق للعراق والأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن، لكن الأوان قد فات.

شن التحالف الدولي الذي تزعمته الولايات المتحدة الحرب على العراق في العشرين من مارس 2003م، وكان من ضمن الأهداف التي قصفها طيران

التحالف خط أنابيب النفط الواصل بين كركوك العراقية وميناء بانياس السوري الذي افتتحه بشار في نوفمبر 2000م ليستفيد من النفط العراقي بعدما شح النفط في بلاده.

كان هذا الأمر رسالةً موجعةً من إدارة بوش لبشار مفادها: دوركم قادم لا محالة، ولميفوت بشار الفرصة للرد.

دعا مفتي الجمهورية السورية الشيخ أحمد كفتارو - بعد موافقة النظام الحاكم طبعًا- في السابع والعشرين من مارس إلى استخدام جميع الوسائل الممكنة لإحباط العدوان على العراق بما في ذلك العمليات الاستشهادية.

في نفس اليوم صَرَّح بشار لصحيفة السفير اللبنانية أن أمريكا ترسم خريطة المنطقة بما يتوافق والمصالح الإسرائيلية، وأن أمريكا رغم قدرتها على هزيمة العراق إلا أنها لن تستطيع ضبط العراق.

في اليوم التالي اتهم وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد النظام السوري بتأمين المساعدة العسكرية للنظام العراقيفي حربه مع قوات التحالف، مهددًا بأن بلاده ستعتبر استمرار هذه المساعدات عدوانًا من سوريا، وردت الناطقة الرسمية باسم الخارجية السورية بثينة شعبان بأن هذه الاتهامات لا أساس لها من الصحة.

عقب سقوط بغداد فيالتاسع من أبريل 2003م،اتهم دونالد رامسفيلد دمشق في الثالث عشر من الشهر نفسه بالسماح للمقاتلين المناوئين لأمريكا بالدخول للعراق عبر أراضيها،في حين طالب الرئيس الأمريكي النظام السوري بالتعاون، ملوحًا بما لدى بلاده من معلومات حول امتلاك نظام الأسد سلاحًا كيماويًا.

العشرون من أبريل 2003م،وبضغوط من نظام الأسد الابن، أجرى رفيق الحريري تعديلًاوزاريًاأدخل فيه عددًا من الوزراء الموالين مثل:

عاصم قانصوه رئيس حزب البعث اللبناني،أسعد حردان رئيس الحزب السوريالقومي الاجتماعي،حيث اعتبربشار الأسد أن حكومةً لبنانيةً مواليةً له ستكون ورقة مساومة قوية له في صراعه مع أمريكا،لكن هذه الخطوة لم تكن كافيةًلإرضاء السيد الأمريكي.

خشي نظام الأسد من أن تطاله ضربات العصا الأمريكية الغليظة؛ لذا أعلن وزير الخارجية فاروق الشارع في الحادي والعشرين من أبريل 2003م إغلاق الحدود السورية العراقية بشكل كامل وامتدح الرئيس بوش الابن هذه الخطوة،لكنه أراد من نظام الأسد تقديم المزيد من فروض الولاء والطاعة.

الثالث من مايو 2003م، زار وزير الخارجية الأمريكي كولن باول دمشق ملتقيًا مع بشار الأسد، وناقش معه جميع النقاط الخلافية بين البلدين وفي صدارتها الوضع في العراق، طالبًا من سوريا أن تبذل جهدًا أكبر لضبط الوضع في العراق وإلا.

كان أهم تنازل خرج به باول من لقاء بشار هو تَعَهُّد الرئيس السوري بإعادة انتشار قواته في سهل البقاع أواخر ذلك العام تنفيذًا لاتفاق الطائف، وعندما سمع الحريري بما تمخض عنه لقاء باول في دمشق كان الشك سيد موقفه.

سأل الحريري أحد مساعديه:

هل معنى ذلك أنهم سيسحبون الجيش والمخابرات؟

فَرَدَّ مساعده:

"لا أعلم."

تَوَقَّع الحريري أن السوريين يناورون ولن يسنحبوا قائلًا:

إذا كانوا جادين يمكنهم الانسحاب الشهر القادم، لماذا الانتظار إلى نهاية العام؟

حَثَّ أصدقاء الحريري وأفراد عائلته رئيس الوزراء اللبناني على الاستقالة، طالبين منه أن يترك الاقتصاد ينهار حتى يعلم أعداؤه قيمته. لَكِنَّ الحريري رَدَّ عليهم بقوله:

"أنا متفائل إن الوضع سيتحسن. لحود وأجهزة الأمن السورية هم من يفتعلون المصاعب التي أواجهها. لو استقلت الآن فإن كل ما فعلته منذ 1992م سيصبح هباءً منثورًا. سوريا أمر واقع كونها جارنا الوحيد، والسوريون لا يريدون الخلاص منيبل إضعافي إلى أقصى حد؛ حتى لا أعرقل سيطرتهم على لبنان. معاناتي محنة مؤقتة وستزول."

زرعت المخابرات السورية جاسوسًا آخر لكن في حراسة الحريري هذه المرة وهو اللواء الشيعي علي الحاج. وذلك لصلات الحاج القوية برستم غزالة عندما كان يشغل منصب قائد منطقة البقاع في قطاع الأمن الداخلي قبل ترقيته لرئاسة قوى الأمن الداخلي عقب تَوَلّي غزالة رئاسة المخابرات خلفًا لغازي كنعان.

برع علي الحاج في التزلف لغزالة، حتى إنه كان يقوم بدور النادل لزوار رستم غزالة ومهنئيه ويقدم لهم المشروبات والمأكولات في إهانة تجرح كرامة أي لبناني يعتز بلبنانيته. لكن الحاج لم يأبه بذلك لأنه سَيُكَافَأ لاحقًا.

رُقِّي الحاج لمنصب قائد الحراسة الخاصة للحريري عقب عودة الحريري لرئاسة الحكومة،وكان ينقل كل كلمة يتفوه بها الحريري لغزالة الذي يتصل بالحريري ويقرعه إذا كان في كلامه ما يعتبره سبًا للقيادة السورية في لبنان.

احتار الحريري في بادئ الأمر حول من يتنصت عليه ويحرجه أمام السوريين،وشَكَّ الحريري في تَوَرُّط الحاج وكان شكه في محله عندما سَرَّب الحريري معلوماتٍ زائفةً في وجود الحاج،وفي اليوم التالي وصل ما توقع وصوله.

اتصل غزالة بالحريري اليوم التالي معاتبًا إياه على ما رآه إهانةً لسوريا في تلك التصريحات الزائفة،وهكذا تأكد الحريري من أن الحاج هو من يتآمر ضده؛ فأصدر قرارًا بنقله ليعود إلى منصبه الأول في البقاع، لكن بقي قرار الحريري موقوف التنفيذ.

تدخل رستم غزالة وهدد الحريربالإيذاء إذا ما نقل الحاج،واضطر الحريري للإبقاء عليه بل ورضخ للمزيد من ضغوط غزالة ورَقَّاه لمنصب قائد قوى الأمن الداخلي،لكن الجفاء اعترى العلاقة بين الرجلين.

اكتشف الحريري كذلك وضع المخابرات السورية لكاميرات مراقبة وأجهزة تنصت في منزله الواقع بمنطقة قريطم في بيروت،ولم يعدم الحريري الوسيلة لإفشال خطط السوريين.

احتال الحريري على هذا الأمر بأن كان يرفع صوت التلفاز عندما يتحدث في أمر هام، أو يختلي بهذا الوزير أو الصديق بعيدًا عن مكان كاميرات المراقبة ويتناقشان بصوت خفيض.

حل صيف 2003م، وحل معه التدهور بقطاع الكهرباء،وأصبح انقطاع التيار الكهربائي خلال صيف ذلك العام أمرًا معتادًا بعدما افتقدت مؤسسة كهرباء لبنان للمال لتفي بمستحقات الوقود المشغل للمحطات،وكعادة الحريري لم يتأخر عن إيجاد الحل.

حاول الحريري أخذ موافقة مجلس الوزراء على شراء المازوت من الحكومة الكويتية بأسعار تفضيلية دون الحاجة لاستيراده عبر وسطاء يكلفون الحكومة أموالًا باهظةً بين الرشاوى والرسوم،وكالعادة كمن الشيطان السوري في التفاصيل.

تَدَخَّل رستم غزالة لإفشال الصفقة؛ لحفظ شبكات الفساد اللبنانية التي تدر أموالًا طائلةً على مخابرات دمشق وعملائها في لبنان من ناحية،ومن ناحية أخرى لخنق الحريري سياسيًا أكثر فأكثر.

تَلَقَّى الحريري ضربةً جديدةً من حكومته أيضًا كما حدث في أمر استيراد المازوت، فماطل الوزراء الموالون لسوريا في الموافقة على مشروع شركة سوليدير المملوكة للحريري إنشاء سوق جديد يضم أكبر مركز للبيع بالتجزئة ونشاطات التسلية.

تسبب ذلك الأمر فيصرف الشركات العاملة في البيع بالتجزئة لنظرها عن المشروع وتصريف بضاعتها في الأسواق المنافسة، وتَلَقّى الحريري تحذيرًا سوريًا قاسيًا في السادس عشر من يونيو 2003م، عندما قُصِفَ مقر محطة المستقبل التابعة له بصاروخين أحرقا مقر البث دون التسبب في إصابات، وتحملت المسئولية كالعادة جماعة إسلامية وهمية.

حل شهر سبتمبر 2003م، وقد ازداد وضع لحود قوةً بينما ازداد وضع الحريري صعوبةً، وصَرَّح رفيق الحريري خلال مقابلة صحفية مع جريدة السفير بأن لحود يصر على استفزازه ولا يريد التصالح معه.

خوفًا من خنجر جديد في ظهره على شاكلة العراق، أمر الأسد لحود أن يُبْقِي على شعرة معاوية مع الحريري؛ حتى لا يثير غضب اللبنانيين عمومًا والسُّنَّة خصوصًا ضده؛ وبالتالي تهتز هيمنة الأسد على لبنان.

لم تمر فترة طويلة حتى عاود بشار لعبة القط والفأر مع الحريري، وباستخدام لحود كما في المرات السابقة.

زاد لحود من تحديه للحريري بالطلب منه خلال نفس الشهر دعمه للفوز بولاية ثانية،لكن الحريري أخبره أنه ليس له دور في ذلك؛ فهناك"فريق آخر" بيده حسم الأمر، وظل التوتر سيد الموقف بين الخصمين اللدودين،وحمل قادم الأيام مزيدًا من الأخبار السيئة للحريري.

الثامن من أكتوبر 2003م،أعلن البطريرك الماروني نصرالله صفير خلال خطاب ألقاه أثناء زيارته لباريس معارضته لتمديد ولاية لحود، معتبرًا أن الدستور لا يخضع للأهواء.

تضامن الحريري مع بطريرك الموارنة معتبرًاملاحظات البطريرك صادرةً عن بطريرك عظيم،وقد وجد الحريري فيما قاله صفير فرصةً للتنفيس عن غضبه رغم الكلفة الباهظة التي ربما يتكبدها من جانب السوريين.

اتخذت إدارة بوش الابن خطواتٍ جادةً لتغيير سلوك نظام الأسد، متعاونةًمع المعارضة اللبنانية في المنفى وتحديدًا قائد الجيش الأسبق ميشيل عون،حيث وصلت الإدارة الأمريكية في السابع عشر من سبتمبر 2003م لصياغة ما عُرِف بقانون محاسبة سوريا،وأطلق على عون مهندس هذا القانون؛ نظرًا لما بذله من جهود ليخرج هذا القانون للنور.

في الحادي عشر من أكتوبر 2003 مصَدَّق الكونجرس الأمريكي على قانون محاسبة سوريا الذي هَدَّد نظام دمشق بحزمة من العقوبات مالم تنفذ عددًا من الشروط التي تحفظ "سيادة لبنان"، وهي:

-1 انسحاب الجيش السوري من لبنان.

-2 وقف دعم الجماعات الإرهابية "في إشارة لدعم النظام السوري لحزب الله."

-3 التخلي عن تطوير الصواريخ الباليستية وأسلحة الدمار الشامل.

-4 الامتناع عن انتهاك عقوبات الأمم المتحدة ضد العراق.

-5 إبعاد حزب الله والحرس الثوري الإيراني من المنطقة الحدودية اللبنانية مع إسرائيل على أن يحل محلهما الجيش اللبناني.

-6 الدخول في محادثات سلام غير مشروطة مع إسرائيل.

وَقَّع الرئيس الأمريكي بوش الابن على القانون ليصبح ساريًا في العشرين من نوفمبر 2003م، وجاء رد الأسد على هذا القانون على مستويين:

خطابي تَمَثَّل في وصفه أركان إدارة بوش بالمتعصبين ومثيري الحرب.

سياسي عندما التقى في نفس يوم إقرار القانون بإميل لحود في دمشق ليؤكد على تحالفهما معًا ضد الحريري.

رَدَّ الحريري على تصرف لحود بالغياب عن حضور الذكرى الستين لاستقلال لبنان في الثاني والعشرين من نوفمبر بدون أن يرسل موفدًا عنه، وتَذَرَّع الحريري بأنه مسافر لأداء عمرة رمضان رغم أن الشهر الكريم قد اقترب من نهايته، وكان العقاب السوريفي انتظار الحريري.

بينما كان عام 2003م يطوي آخر صفحاته، دُعِيَ الحريري لزيارة دمشق ملتقيًا بشار وغازي كنعان ورستم غزالة ومحمد مخلوف، وقَرَّع بشار الحريري واتهمه بالتآمر مع أمريكا وفرنسا على سوريا ولقاء مسئول أعلى في الخارجية الأمريكية ببيروت لِتَلَقّي التعليمات.

زاد الأسد من أوجاع الحريري بأن اتهمه بالتنسيق مع العاهل الأردني الملك عبد الله لعلاقاته مع إسرائيل لإعاقة الوساطة الألمانية بين حزب الله وإسرائيل لإتمام صفقة تبادل أسرى بين الجانبين، وهو ما نفاه الحريري جملةً وتفصيلًا.

لم يحتمل الحريري كل تلك الإهانات التي وُجِّهَت له طوال خمس وأربعين دقيقة، وفَكَّر أن يرحل قبل ختام الاجتماع، وخرج مرتعد الفرائص كسير

الخاطر، أخذه غازي كنعان ليهدئ من روعه في مكتب رئيس الوزراء بعدما ارتفع ضغط دمه ونزف من أنفه.

خرج رفيق من القصر الرئاسي ليلتقي عبد الحليم خدامًا صديقه المقرب في منزل الأخير ببلودان، حيث أبدى الحريري غضبه وخيبة أمله من تطاول بشار عليه دون مراعاة أنه في مقام أبيه، وتَأَكَّد للحريري بعدما رآه أن عام 2004م سيكون مِفْصَلِيًّا في علاقته بالنظام السوري إما القطيعة وإما الوفاق، وإن بدا أن القطيعة أقرب للجانبين من حبل الوريد.

openkandil.com